جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
University of Echahid Hamma Lakhdar El oued
مجلة علوم اللغة العربية وآدابها
Journal of Arabic Language and Literature
دورية أكاديمية محكمة متخصّصة تصدرها كلية الآداب واللغات
ISSN 1112-914X / EISSN 2602-716X
الصنف (ج) class:(c)

رقم 178 هـ.ت.م/ك.آ.ل/2020 الوادي في : 2020/03/15

إفادة بنشر مقال

إلى من يهمّه الأمر.

يفيد السيد رئيس تحرير مجلة علوم اللغة العربية وآدابها أن الباحث(ة):

بن الطاهر يوسف

تحت إشراف أ.د: كبير الشيخ

قد قدّم(ت) إلينا مقالا للنشر في المجلة بعنوان:

ملامح شخصية البطل في التغريبة الهلالية

بتاريخ: 2019-10-05 وقد تم قبوله من طرف الخبراء بتاريخ: 2019-11-18 و نشر في العدد: 01 من المجلد 12 الذي صدر يوم : 15 مارس 2020.

قدّمت إليه(ا) هذه الشهادة بطلب منه(ا) للاستفادة منها فيما يسمح به القانون.

رئيس التحرير

رئيس التحرير
أ.د مسعود وقاد

ملامح شخصية البطل في التغريبة الهلالية

Features of the hero character in the ¨al hilalia westery¨

بن الطاهر يوسف/طالب دكتوراه
أ.د كبير الشيخ

قسم اللغة والأدب العربي -المركز الجامعي بلحاج بوشعيب-عين تموشنت(الجزائر)
مخبر الخطاب التواصلي الجزائري الحديث . المركز الجامعي بلحاج بوشعيب.
البريد الالكتروني: youcef.bentahar28@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2019/10/05 تاريخ القبول: 2019/11/18

ملخص:

يتتبع هذا المقال بالدراسة والتقصي لشخصية بطل من أبطال المسلمين العرب ذاع صيته في السير الشعبية وهو أبو زيد الهلالي بطل التغريبة الهلالية، فالتغريبة الهلالية أنموذج قوي للبطولة البدوية العربية الأصيلة، وشخصية أبو زيد الهلالي هي أهم شخصية من هذه التغريبة وأقوى بطولة من بطولاتها.

هذا المقال يتطرق إلى عناصر بحثية تسلط الضوء على ملامح هذه الشخصية الفذة، يدرس أولا البطولة في التغريبة الهلالية بين الإفراد والجمع ، وثانيا يدرس نسب البطل أبو زيد وبداياته، ثالثا أسماء البطل أبو زيد الهلالي وألقابه، رابعا يدرس المقاييس الكمية والنوعية للتعرف على شخصية البطل، وأخيرا سيدرس مقومات بطولة شخصية أبو زيد .

الكلمات المفتاحية:

التغريبة الهلالية، أبو زيد الهلالي، شخصية بطل، نسب وطفولة، مقومات شخصية.

Abstract:

This article is meant to presente on invenstigation and a study about a personality of one of the arab muslims heros whose fame spread all over the popular biographie. He is Abou Zaid AL-hilaly, the hero of ¨al hilalia westery¨. ¨al hilalia westery¨ is a powerful model for the authentic Arab Bedouin championship, and Abu Zaid al-Hilali is the most important figure of this alienation And the strongest championship Abu Zaid al-Hilali est la figure la plus importante de cette aliénation Et le plus fort championnat de ses tournois.,

The article deals with researching elements that higtligts the characteristics of this unique characters. First, it studies the championchip it self during the ¨al hilalia westery¨ between the individuals and collective points of view. Secondly, The article studies the lineage of Abou Zaid AL-hilaly and his beginnings. Thirdly, , the hero Abou Zaid AL-hilaly propre names and appellation. Forthly, The article studies the quantitive and qualitive measures to identify the chararcters of the hero. Finally, The article studies the heroic personality Characteristics of ¨Abou Zaid¨.

***key words**:*
al hilalia westery, Abou Zaid AL-hilaly, personal hero, lineage and childhood, personal ingredients.

مقدمة:

السيرة الشعبية العربية نالت السبق والصدارة بين السير العالمية الأخرى، ذلك لأنها تمثل بشكل من الأشكال جوهر الأدب الشعبي العربي أيام المجد والتمكين والقوة، ومن هذه السير العربية تغريبة بني هلال التي تعني سيرة بني هلال أيام توجههم نحو الغرب وأخبارهم وبطولاتهم في بلاد الغرب.

تغريبة بني هلال أنموذج قوي للبطولة البدوية العربية الأصيلة، وشخصية أبو زيد الهلالي هي أهم شخصية من هذه التغريبة وأقوى بطولة من بطولاتها؛ ذلك أنه يتمتع بخصائص نفسية وبدنية اقتصرت على شخصه وانكفئت على ذاته النبيلة والشريفة والقوية في آن واحد.

لابأس أن نشير أننا لسنا أول من يخوض غمار البحث في موضوع بطل التغريبة الهلالية، فقد سبقتنا –في حدود علمنا- هذه الدراسات:

-آليات السرد بين الشفاهية والكتابية لسيد اسماعيل ضيف الله، حيث ركز ضيف الله على الفرق بين السرد الكتابي والسرد الشفاهي للسيرة الهلالية، معتمدا على رواية الشيخ فتحي سليمان ورواية مراعي القتل لفتحي إمبابي، وأورد الحديث عن البطل أبوزيد، لكن دون تفصيل مبين، ودون منهجية في تناول ملامح شخصية أبي زيد، إلا أننا في هذا البحث المتواضع سنفصل ونبين خصائص وسمات البطل أبو زيد بالتفصيل المعمق وإيراد معلومات ومعارف بطريقة منهجية.

-البنيات الحكائية في السيرة الشعبية لسعيد يقطين، يتطرق يقطين إلى عناصر بحثية تتعلق بالفاعل المركزي وهي: الميلاد، الاسم، الصفات الثابتة أو العلامات، اللون، التربية. وبتناول

يقطين دراسة عدة روايات في كتاب واحد فإنه شتت الحديث حول كل هذه الروايات، مما جعل نصيب بطل السيرة الهلالية لا يكاد يكون ظاهرا للعيان، أي أنه لم يستفض الحديث عن الفاعل المركزي

- على حد تعبيره- في سيرة بني هلال، أما بحثنا فهو يستفيض الحديث عن بطل التغريبة الهلالية بصفة خاصة، متناولا أغلب العناصر البحثية التي تناولها سعيد يقطين عن البطل في كتابه هذا.

-السردية العربية، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي لعبد الله ابراهيم،

تناول عبد الله ابراهيم في كتابه عدة عناصر بحثية وطبقها على مجموعة من الروايات هي: سيرة بني هلال، سيرة الأميرة ذات الهمة، سيرة الملك سيف، سيرة عنترة، سيرة الظاهر بيبرس. خصص ابراهيم مساحة ثماني صفحات من كتابه ليتناول هذه العناصر البحثية ، و بتطبيق العناصر البحثية على خمس روايات، وبالتأمل في هذه الصفحات نجد أن الحديث عن بطل التغريبة في هذا الكتاب لا يتجاوز مساحة صفحة واحدة؛ لذلك نرى أن هذه المعلومات الواردة في كتاب ابراهيم عن بطل التغريبة الهلالية لا تشفي غليل من يبحث عن تفاصيل وملامح البطل أبو زيد.

سنتبع في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، كي يتسنى لنا تحقيق أهداف البحث وهي: التعرف على تفاصيل وجوانب من شخصية بطل التغريبة الهلالية، بدءا من البطولة في التغريبة الهلالية بين الإفراد والجمع، ثم أسماء البطل أبو زيد الهلالي، ثالثا ندرس المقاييس الكمية والنوعية للتعرف على شخصية البطل، رابعا ندرس نسب البطل أبو زيد وبدايته، وأخيرا سندرس مقومات بطولة شخصية أبو زيد .

ومن هنا تتبادر إلى الذهن تساؤلات وإشكالات حول هذه الشخصية ذائعة الصيت لعل أهمها:

هل البطولة في التغريبة الهلالية مفردة؟ أي مقتصرة على شخصية واحدة، أم هي جمعية أي يشترك في البطولة عدة شخصيات؟ ما هو نسب البطل أبو زيد وكيف كانت بداياته؟ هل كان للبطل أبو زيد الهلالي اسم واحد معروف؟ أم له أسماء متعددة تعدد مواهبه وخصائصه الشخصية ؟ ماهي المقاييس الكمية والنوعية للتعرف على شخصية البطل؟ كيف أن أبو زيد شخصية ذات مقومات بطولية؟

1.البطولة بين الإفراد والجمع في التغريبة الهلالية:

شخصية البطل تمثل أبرز شخصية من الشخصيات الرئيسة، إلا أن مفهوم البطل يشكل صعوبة حقيقية في تحديده تتصل بمكانته في السرد، فمن هو الفاعل البطل في السرد؟

وكيف السبيل إلى تمييزه؟[1] كما نجد أن السرد في الروايات العربية أو الغربية يركز على شخصية بعينها، وفي حالات أخرى يركز السرد على شخصيتين متكافئتين أو أكثر، حيث تتقابل بالتكافؤ أفعال هذه الشخصيات و تتساوى، ومن هنا يصعب تحديد شخصية البطل الحقيقية.

وفي التغريبة نلمس إشكالية حقيقة في تحديد شخصيات البطولة بين الإفراد والجمع البطولي، فاختلف الباحثون في تحديد أبطالها وانقسموا إلى قسمين:

-القسم الأول يرى أن هذه البطولة تشارك فيها شخصيات عدة وليس واحدة فقط ،وهذا الرأي تعاضده الباحثة وليدة بن طالب في مذكرتها الموسومة ب:سيرة بني هلال-دراسة سردية، ويعزى هذا التوجه البطولة إلى كل من:

(أبو زيد الهلالي، حسن بن سرحان، ذياب بن غانم، الجازية)[2].

-القسم الثاني يرى أن التغريبة لها بطل واحد هو أبو زيد الهلالي، أما بالنسبة لي كباحث في التغريبة هذا الرأي هو الذي أراه راجحا؛ فأبو زيد يمثل شخصية البطل، وكل من حسن وذياب والجازية يقعون ضمن الشخصيات الرئيسة في التغريبة الهلالية.

2.نسب البطل أبو زيد وبداياته:

قبل ميلاد أبو زيد الهلالي بأيام قلائل رأت والدته الأميرة الخضرا الشريفة رؤيا، مفادها أنها بينما كانت تتجول في أحد البساتين رأت غرابا أسود يطرد الغربان ويقهرها ويفتك بها، فقالت: إلهي أسألك أن ترزقني ولدا ذكرا ولو كان لونه أسود لعله ينشأ يغلب الفرسان ويقهرهم، مثل هذا الغراب، وأنشدت قائلة:

يَا رَبُّ يَا رَحْمَانُ يَا سَامِعَ الـــدُّعَـــاء تَرْزُقْنِي وَلَد ذَكَر يَا جَـــبَّـــار
يَكِرُّ عَلَى الفُرْسَانِ البَوَادِي جَمِيعُهَا وَيَعْلُو ذِكْرُهُ فِي سَائِرِ الأَقْطَار
وَيَنْسَرُّ قَلْبِي وَلُبِّي وخَـــــاطِـــــرِي لِأَنِّي شَرِيفَةٌ مِنْ بُيُوتٍ كِبَـــار[3]

كانت الأميرة الخضرا حاملا بأبي زيد، ولعل هذا النسب العظيم الباعث لبنية شخصية البطل في أي سيرة شعبية عربية أن يدل على عظمة شخصية البطل، ومدى أهميتها في السرد الشعبي، وهذا السبق والاستهلال له أمثلته المختلفة في الحياة: فمجيء العاصفة يسبقه هبوب الرياح، وظهور البدر تسبقه طلعة الهلال، وطلوع الشمس تسبقه خيوط الفجر، كما أن سقوط المطر يسبقه تشكل الغيوم، فكثيرة هي الظواهر الطبيعية التي تستهل بظواهر طبيعية أخرى ولا مجال لتعداد هذه الظواهر كلها في هذا الصدد.

على الرغم من نسب البطل الشريف إلا أن سمرة بشرته وسوادها أدت بوالده الأمير رزق أن ينكر أبوته للبطل أبو زيد، وطلق والدته الأميرة الخضرا الشريفة، فقررت الأميرة الخضرا ترك ديار بني هلال، وتوجهت إلى قبيلة أخرى تسمى بني الزحلان، ونشأ ثَمّ البطل

وترعرع، وعاش صباه منكبا على تعلم مختلف الفنون والعلوم والمهارات، فكان يدرس العلوم في الكُتّاب، ويتدرب على الفروسية والمبارزة والفنون الحربية في هذه القبيلة، وكل هذا بإيعاز من والدته التي صممت أن تجعل منه شخصية فذة تتقن مهارات و فنون مختلفة.

عاش أبو زيد بطل التغريبة الهلالية في صباه (بعيدا عن أبيه وأهله الحقيقيين، مع أن أباه عاش في بلاد السرو(الأردن وفلسطين)، بينما نشأ البطل وترعرع في أرض بني الزحلان)[4]، فعانى من الغربة عن الأهل، وهو ليس الشخصية الوحيدة في التاريخ التي تعيش متغربة عن أهلها، فإذا تدارسنا سيرة نبي الله يوسف -عليه السلام- نجده قد عاش متغربا عن أهله في بيت عزيز مصر، بعيدا عن أبيه نبي الله يعقوب عليه السلام وإخوته وعشيرته، وهذه الأمثلة من الشخصيات المتغربة كثيرة جدا في الروايات الشعبية العربية و حتى العالمية.

إشكالية ميلاد البطل الشعبي في السير العربية والعالمية تناولتها نبيلة ابراهيم، وخصصت لها فصلا كاملا، وفسرتها تفسيرا نفسيا في كتابها أشكال التعبير في الأدب الشعبي، حيث ترى أن إبعاد الطفل البطل " لازمة من لوازم الميلاد المعجز، وهو رمز آخر للصراع الذي يخوضه الفرد في سبيل تحقيق الذات المتكاملة، وهذا لا يتم إلا عن طريق اتحاد الشعور مع اللاشعور، وهذا الاتحاد يتطلب بدوره تضحيات يشير إليها نفي الطفل، واستبعاده بوصف هذا خطوة أولى في سبيل تحقيق الذات الكلية، فالطفل يبعد عن أبيه وأمه، وليس هناك شيء يرحب بولادته على الرغم من أنه بشير المستقبل"[5] وفي التغريبة خاض البطل في القصص الصراع في سبيل تحقيق الذات المتكاملة.

كما عرّفت نبيلة ابراهيم في ذات الكتاب البطل الشعبي على أنه" البطل هو ذلك الذي يولد غريبا وكأن الحياة كلها ترفضه، ولكنه سرعان ما يشق طريقه، ويتغلب على الصعوبات، ويحقق في النهاية هدفا يسهم في صنع الصورة المكتملة للحياة"[6] رفض الأمير رزق هذا الوليد البطل، وبهذا الرفض الأبوي فقد رفضته في حقيقة الأمر كل قبيلة بني هلال، ولكن الوليد البطل تغلب على الصعوبات، وأتقن العلوم و المهارات، وفرض نفسه فرضا على أفراد قبيلته، فيما بعد أن اشتد عوده وبلغ أشده.

3.أسماء البطل أبو زيد الهلالي:

تنوعت أسماء الشخصيات في التغريبة الهلالية، فلكل شخصية محورية من التغريبة اسم يفصلها و يميزها عن باقي الشخوص، وكما قيل قديما "لكل من اسمه نصيب"، فالمتتبع لمجريات أحداث التغريبة يلاحظ أن الارتباط جد وثيق بين كل اسم هلالي ودوره في التغريبة الهلالية.

أبو زيد ليس بطل تغريبة بني هلال فحسب، وإنما هو في حقيقة الأمر بطل السيرة الهلالية كلها، وهذه البطولة الفذة والشخصية القوية دفعت مجرى الأحداث إلى كنيته بعدة ألقاب وأسماء مختلفة، يدل كل واحد منها على صفة من صفات هذا البطل الهمام، أو على خصلة من خصاله وشيمه.

لعل أهم الأسماء و النعوت التي تعزى إلى شخصية البطل أبو زيد الهلالي هي:

أبو زيد الهلالي، بركات، مسعود بن عمار، سلامة. هذه أربع أسماء رئيسة تنعت بها شخصية البطل الهلالي، فضلا عن أسماء أخرى ثانوية لم يطل ذكرها في التغريبة الهلالية إلا لماما، أي أنها ذُكرت فقط في قصة أو قصتين من تغريبة بني هلال، و لا يتسع المجال لذكرها كلها في هذا الصدد.

4.المقاييس الكمية والنوعية للتعرف على شخصية البطل:

يمكن التعرف على شخصية البطل في أي سيرة شعبية، أو رواية قديمة أو حديثة عبر معياريين أحدهما كمي، وثانيهما نوعي كالآتي:

1.4المقياس الكمي:

لتحديد البطل في الرواية باستعمال المقياس الكمي نتتبع (توفر و طغيان الإشارات والعلامات، والمعلومات المميزة له، على حساب باقي الشخصيات في الرواية)[7]، حيث نجد في تغريبة بني هلال أن التركيز في السرد يقع على شخصية أبو زيد الهلالي؛ ففي الجزئين الرابع عشر والتاسع عشر يصف الراوي أبا زيد بالكيد والحيلة والدهاء، مما دفع الراوي إلى تمجيده وتركيز السرد عليه، كما أن شخصية أبو زيد في هذا السرد الروائي تتميز ب:

حضور مستمر ومهيمن، تشخيص شامل ودقيق، و وفرة المعلومات، وإذا كانت الشخصيات الثلاث الأخرى تنطبق عليها أيضا هذه الخصيصات الثلاث المميزة للبطولة، إلا أنها ناقصة نسبيا، وفي مرتبة أقل مقارنة مع الدرجة التي تتميز بها خصيصات شخصية أبو زيد.

2.4.المقياس النوعي:

يرتبط المقياس النوعي في تحديد شخصية البطل (بالكيفية التي شُيدت بها هذه الشخصية، وطريقة تقديمها في السرد الروائي)[8]، وفي دراسة هذا المقياس نتطرق إلى:

.الإفراد:

على الرغم من التشارك بين الشخصيات في الخصائص والمميزات، إلا أن البطل ينفرد وينماز بخصائص فارقة تسموا به عن مستوى باقي الشخصيات، فأبو زيد شخصية متعددة القيم، وبهذا التعدد القيمي أصبح زائدا عن الشخصيات الأخرى وبائنا عليها، ومن قيمه وشيمه اللطف، الرحمة، النخوة، التضحية في سبيل الحق أو القبيلة، البسالة ،الكرم والوفاء.

وحقيقة قيم أبو زيد أنها(تشكل جزءا مهما من آراء أبي زيد ،ومبادئه وأفكاره، ومواقفه إزاء القبيلة والحياة والموت والحرب، حيث تكتسب هذه الشخصية مكانتها الاجتماعية من هذه القيم المسخرة للدفاع عن الضعفاء والمقهورين، ومحو الفوارق والاختلافات بين أفراد القبيلة، وتوحيد صفهم وجهدهم، وبذلك ترفع شخصية أبو زيد من شأن مهمتها النبيلة، فوق وظيفتها العسكرية الأصلية بمنحها دلالة روحية)[9] ولهذا جاء دور أبو زيد في القبيلة دورا مستعصيا وغير قابل للمنافسة، مما جعله متفوقا على أترابه ومنافسيه، وأعتقد أنا أن هذا التفوق راجع إلى التربية الحسنة و الفائقة التي أولتها له أمه الخضرا في صغره سابقا، وهي تتابع و تحرص على تعليمه جميع العلوم والفنون، وأساليب القتال، والمبارزة والرمي والسباحة.

وأبو زيد زائد بالقيم عن فرسان القبيلة، بالإضافة إلى كونه ملقبا باسم سلامة، حيث (يحتل اسم سلامة الموقع الثاني بعد لقب أبي زيد، وفي التغريبة يدل هذا الاسم على شخص يحب السلم ويؤدي دور الوساطة بين المتخاصمين في القبيلة، من أجل تسوية الخلاف الحاصل بينهم، كما يدل لفظ سلامة على حالة إنسان ينبذ العنف، ويحب الصلح والاتفاق بين أعضاء عائلة واحدة، كما يضطلع هذا الشخص بالوساطة لإصلاح ذات البين، بصفة تلقائية ومتكررة)[10] ودور الوساطة وارد كثيرا في التغريبة، على غرار توسط سلامة بين الأطراف المتصارعة على السلطة وتقسيم الملك.

في قصة الترملنك، (أبو زيد يظهر عالما في علم الفلك والنجوم، ويدبر حيلة استراتيجية عملت على انتصار بني هلال، كما أن أبو زيد يتقن علم تفسير المنام بتفسيره لمنام حسن بن سرحان السابق للأحداث، بواسطة الضرب على الرمل، ويحارب ويقتل كلا من اسكندر، وسعد الفلك وعبد الفلك)[11].

في قصة أسر الأمير دياب في قبرص، نجد (أبو زيد يمكر ويكيد، ويقرأ في الرمال ويستولي على ديوان الهراس، ويحتال ويدهش السامعين بعلومه، وأخيرا ينقذ دياب من الموت، ويستولي على قبرص)[12].

.موقع البطل في نسق السرد:

يتوغل قارئ التغريبة الهلالية ويغوص في مجرى أحداثها، بين حلوها ومرها ويلتمس كل ما يعتري أفراد قبيلة بني هلال من حكايات وقصص وأخبار، قد تكون سارة وقد تكون أليمة، وعلى الرغم من تنوع الشخصيات، وتعددها في التغريبة الهلالية علاوة على كثرتها إلا أن الراوي يعزى للبطل وظائف ومهام محصورة على شخصه، لا تسند إلى باقي الشخوص، حيث تكون هذه الوظائف مستحسنة ومرغوب فيها داخل مجتمع القبيلة.

المتمعن في قصص التغريبة يلاحظ أن أبا زيد له وظائف متعددة، بعضها يتشارك في أدائها مع أفراد هلاليين أو غير هلاليين، وبعضها الآخر منحصر ومنكفئ على شخصه فقط، فأبو زيد هو قائد الجيش في المعارك، وهو المستكشف والمتطلع على أنحاء المعمورة، بحثا عن الكلأ والمؤونة والأراضي الخصبة، وله الرأي والمشورة في تسيير شؤون القبيلة، كما له مهمة الضرب على الرمل للتطلع على مستقبل القبيلة، وتجنب المهالك والمطبات، بالإضافة إلى كونه شاعرا رقيق الإحساس.

في قصة مُغامس مع شاة الريم مثلا، نجد (أبو زيد رئيسا لبعثة الاستكشاف، وشاعرا يمدح جميع الملوك في طريقهم، ومدافع عن الأمير مغامس، فضلا عن تطلعه واستكشافه البلدان التي يمرون عليها في الطريق)[13].

في قصة الدبيسي بن مزيد، نجد (أبو زيد يحرض بني هلال على الترحال نحو تونس، ثم يتنكر على شكل درويش يتقن جميع اللغات، وأخيرا يتكلف بقتل الدبيسي. وفي قصة الملك الغضبان أبو زيد يشارك في القتال، و يخطط تخطيطا استراتيجيا للهجوم على جيوش الأعداء من الجهات الأربع)[14].

.أشكال ظهوره وحضوره:

شخصيات التغريبة الهلالية لا تتساوى في شكل ظهورها وحضورها السردي، فمن هذه الشخصيات ما هو طارئ على التغريبة، أي ذُكر مرة أو مرتين، ومنها ما هو أصيل في الحضور والظهور، أي ذُكر عدة مرات وشارك في كثير من قصص التغريبة الهلالية، وعلى الرغم من كون حضور هذه الشخصيات محقق ومرئي في التغريبة الهلالية إلا أن السارد يقدم شخصية البطل أبو زيد بالتركيز عليه وجعله بائنا في الظهور، بشكل يرسخه في ذاكرة القارئ، ففي التغريبة لا نكاد نجد قصة من قصصها إلا وقد استوفى أبو زيد فيها حقه من الذكر والظهور.

وظهور البطل أبو زيد وحضوره في التغريبة بشكل مستمر ومنفرد، ومميز عن باقي الشخصيات الأخرى المحورية منها والثانوية، التي ظهورها يكون برفقة شخوص آخرين؛ لارتباط بعضهم ببعض، وكون أهميتها لا تظهر إلا بمؤازرة الشخصيات الأخرى، وهذا على عكس شخصية البطل ذات الأهمية المنبعثة من ذاته، التي لا تحتاج إلى مساعدة خارجية لإثبات دورها وتحقيق ذاتها، ومن ثم فرض نفسها وأفكارها و قناعاتها، وتصوراتها الحياتية في هذا السرد الروائي.

كما أن أبو زيد بتحقيقه للبطولة في التغريبة فإن حضوره دائما مستقل، ويشارك في دوران عجلة الأحداث، وينسج قصصه بذاته وبشخصيته البطولية، على عكس الشخصيات المحورية والثانوية التي تحضر في القصص متعلقة ومرتبطة بشخصيات أخرى، كما أن

مشاركاتها في نسيج قصص التغريبة دائما بسيط وغير دائم، فإذا درسنا أي قصة من قصص التغريبة الست والعشرين نجد البطل غالبا ما يكون حاضرا، في حين أن الشخصيات الأخرى إذا حضر البعض منها غاب البعض الآخر.

.التحديد القبلي:

دأب الرواة والقاصون العرب القدامى، والمحدثون على خاصية مشتركة بينهم في السرد القصصي، تنص على أنه في السير والقصص (يحدد النوع الأدبي البطل بشكل قبلي، من خلال ميثاق مشترك بين المؤلف والقارئ)[15]، وفي التغريبة بمجرد قراءة القصص الثلاث الأولى وبتأمل دور أبو زيد فيها الذي هو:

-القصة الأولى: قصة مجاعة بلاد نجد العدية وذهاب الريادة إلى بلاد الغرب:

(يظهر أبو زيد كصاحب وفي وماهر للأمير حسن، ويعزى إليه مهمة الذهاب إلى الغرب لاستكشاف أرضه وكلئه)[16].

-القصة الثانية: قصة مسير الرواد الأربعة حتى تونس الخضرا:

نجد (أبو زيد رئيسا لوفد المستكشفين، ويدافع عن الأمير مغامس بقتل سعيد الذي كان يعذب مغامس، ويتقمص دور الشاعر المفلق الذي يمدح جميع الملوك والمراء في طريق الذهاب والرجوع من الغرب)[17].

-القصة الثالثة: قصة الرواد الأربعة في تونس الخضرا، سجنهم وفديتهم:

نجد (أبو زيد يطلب المساعدة من بنت الخليفة الزناتي سعدة، ويحارب ضد العلام وأبطاله، إلى أن يحصل على مساعدة من العلام ذاته، ثم يصف حالة قبيلته المضنية للماضي ابن مقرب)[18].

انطلاقا من هذه القصص الثلاث الأولى، وبتطبيق شروط ومعايير المقياسين الكمي (وفرة المعلومات، حضور مستمر ومهيمن، تشخيص شامل ودقيق) والمقياس النوعي(الإفراد، موقع البطل في نسق السرد، أشكال ظهوره وحضوره، التحديد القبلي) فإنه لا يبقى مجال شك للقارئ، ولا صعوبة في تحديد بطولة هذه السيرة وعزوها إلى شخصية أبو زيد الهلالي.

5.أبو زيد شخصية ذات مقومات بطولية:

1.5ما دام أن العقلية العربية الشعبية قد أعطت لشخصية معينة أحقية مرتبة البطولة، فهذا يحيل إلى أن هذه الشخصية قد حققت البطولة على المستويين الجماعي والفردي. البطل فيه ميزة حب الخير والسعي الدائم لقضاء مصالح الأشخاص المرتبطين به، عن طريق الصحبة أو عن طريق الدم أي أبناء العمومة، و لدى توماشفسكي رأي في ذلك، فالبطل إنما ينشأ " انطلاقا من قاعدة أخلاقية... فالشخصية التي لها صبغة عاطفية قوية هي

التي تسمى بطلا"[19]. و في السير العربية أهم خصيصة ينماز بها البطل هي الشجاعة، والشجاعة تتطلب الفروسية التي ليست منحصرة على أن يكون للفارس فرسا أو جوادا، ويتقن مهارات الكر والفر والضرب بالنصال، وإنما الفروسية هي زيادة على ذلك القدرة على التضحية بالنفس من أجل المصلحة الجماعية، والاستماتة في الدفاع عن العرض، والدين و الشرف والحمى.

قصص التغريبة الهلالية تزخر ببطولات أبو زيد الهلالي، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

-قصة حرب بني هلال مع الأعاجم و سبي المارية:

(خاطر أبو زيد الهلالي بحياته حين سارع بمفرده إلى التسلل إلى بلاد الأعجام لإنقاذ المارية ابنة القاضي بدير بن فايد من السبي، وكان ذلك بعد مغامرة ومجازفة من البطل أبو زيد)[20].

-قصة أسر دياب:

(لم يهن على أبي زيد ترك صديقه المفضل الأمير دياب بن غانم أسيرا في جزيرة قبرص، تحت وطأة حاكم يدعى الهراس، ليتجشم البطل أبو زيد وعثاء السفر، وعقد العزم على تحرير صديقه. تحقق كل ذلك بالإضافة إلى تحصيل كنوز بلاد الهراس)[21].

-قصة أبو بشارة العطار:

(سجن الساحر أبو بشارة العطار كلا من الأمير دياب بن غانم، و أخيه زيدان والقاضي بدير بن فايد، اغتاظ أبو زيد من هذا الأسر الجماعي فتحدى العواقب على الرغم من أذى هذا الساحر الكائد الذي مسّ عقل وحياة أبو زيد، وكاد أن يعدمه العقل والحياة. إلى أن حرر أبو زيد الأمراء الثلاثة)[22].

عرّف رانيلا البطل الشعبي على أنه" ما لا مثيل له في خصائص البطل الشعبي حسن بلائه في المبارزة، وحتى إذا حارب في صفوف الجيش، فهو يحارب الأعداء جميعا، واحدا واحدا في آن واحد، ومن الخصائص اللازمة للبطل كذلك أنه يكسب المعركة على الدوام، فهو البطل الذي لا يقهر، على الأقل حتى نهايته، حتى إذا حانت نهاية حياته فإنه يتبع كذلك الأنموذج الشعبي"[23]، كل هذه الخصائص اللازمة متوفرة في شخص البطل أبو زيد، فهو البطل الذي لا يقهر، و المعروف بحسن بلائه في المبارزة.

2.5من بين أفراد قبيلة بني هلال نجد أنا أبا زيد أكبر شخصية متعددة المواهب، وكثيرة القدرات، ومتقنا للفنون والعلوم، (فهو يستطيع التحدث بأي لغة من لغات القبائل الجوار أو البعاد، عربا كانوا أم أعاجم، مسلمين أم مشركين، وهو القادر على التنكر بأي زي من الأزياء، والظهور للعيان بأي صورة من صور البشرية، وهو القادر على مداولة أي وظيفة، أو مهنة مهما كانت شروطها ومتطلباتها)[24]معروفة ومتيسرة كانت، أم غامضة وصعبة ، وهو يستطيع مجابهة

أي خصم أو منافس مهما عظمت قوته البدنية أو الفكرية، ومهما أتقن أساليب القتال، المعروفة أو المنكرة ، ومهما كان علمه بالتدجين والسحر وعلومهما.

3.5تغريبة بني هلال (فُصِّلت فيها سيرة البطل أبو زيد، وأُسردت حياته من ميلاده حتى وفاته سردا مفصلا، يتبع كل تفاصيل ومقومات شخصيته، وأُسندت له مهام الرسالة الهلالية التي تقوم عليها هجرة بني هلال إلى بلاد الغرب، كما يمكن لدارس تغريبة بني هلال إجمال مهام أبو زيد في ثلاثة محاور كبرى:

المحور الأول ريادي، والمحور الثاني استدراكي أو رجعي لإخطار بني هلال بوجوب إنقاذ الأمراء الثلاثة أولاد السلطان حسن بن سرحان، الذين سجنهم الزناتي خليفة وهم: مرعي ويحي ويونس، أما المحور الثالث فهو تنفيذي بقيادة أبو زيد قبيلة بني هلال إلى أرض الغرب، وبلاد تونس الخضراء)[25].

4.5الراوي في تغريبة بني هلال (يأبى الجمع بين حضور أبو زيد بتواجده بين الهلاليين وانهزام الهلاليين)[26]، فالهلاليون ما دام بينهم أبو زيد فهم دائما منتصرون في معاركهم وحروبهم مع القبائل المجاورة أو البعيدة، لأجل البقاء على قيد الحياة والاستمرار في العيش، إلا أنه حينما يغيب البطل في سفرية من السفريات، أو يغيب بسبب مرض من الأمراض، تلحق ببني هلال هزائم و فواجع مروعة، ويفقدون عددا كبيرا أو صغيرا من فرسانهم، فحينما غاب أبو زيد عن الهلاليين لاقوا المصائب في القصص التالية على سبيل المثال لا الحصر:

-قصة ديوان الزناتي خليفة:

(حينما كان أبو زيد طريح الفراش بسبب لدغة أفعى سامة، قهر الزناتي خليفة فرسان بني هلال وغلبهم بقتل عدد منهم هم: القاضي بدير بن فايد، وأخوه الأمير مفضل، و الخفاجي عامر)[27].

-قصة ديوان الزناتي خليفة:

(في غياب الأمير أبو زيد؛ حيث كان مع قوم بني الزحلان يتصدون لجيش ملوك الشقور السبع في مكان بعيد عن الهلاليين، أهان الزناتي خليفة الهلاليين، وفتك بمشاعرهم وأحاسيسهم، حينما علق رؤوس تسعين أميرا من خيرة أبناء الهلاليين، منهم بدر بن غانم، والأميران عقل بن بدر ونصر بن بدر، و الأمير شيخ الشباب زيدان أخو دياب بن غانم) [28].

5.5.الشخصية السردية في التغريبة الهلالية التي تتمتع بالمرتبة الأولى في أداء الوظائف و المهام الرئيسة الكبرى، و التي تؤدي إلى ديناميكية وسيرورة الأحداث إلى نهاية المطاف هي شخصية البطل أبو زيد، الذي له أولوية فك العقد الصعبة، وأداء المهام المستعصية في كل قصة من قصص التغريبة، ذلك أنه (أوكلت له مهمة القضاء على أشد الفرسان و أقواهم،

وأكثرهم خطرا وشرا على مصالح قبيلة بني هلال، وتهديد بقائها، على الرغم من أن عدد قتلى الأمير دياب في سائر قصص التغريبة أكبر بكثير من عدد قتلى الأمير أبو زيد)[29]، إلا أن الذين أعدمهم الحياة أبو زيد كانوا أخطر وأشد بأسا من الذين أعدمهم الحياة الأمير دياب، فالعبرة ليست بالكم بل بالكيف.

خاتمة:

بعد أن درسنا ميزة البطولة في التغريبة الهلالية بين الإفراد والجمع، أي بطل واحد أو مجموعة أبطال في المبحث الأول، وفي المبحث الثاني تعرفنا على نسب البطل أبو زيد وبدايات حياته، ثم تعرفنا على ألقاب وأسماء هذا البطل الهمام، في المبحث الرابع تطرقنا إلى كيفية استعمال المقاييس الكمية والنوعية للتعرف على شخصية البطل ، ثم أثبتنا المقومات البطولية لشخصية أبي زيد.

تتبعنا في هذا البحث المتواضع ملامح شخصية بطل التغريبة الهلالية، وتمكنا من تكوين صورة عامة عن هذه الشخصية، هذه الصورة تمس الجوانب الواقعية المذكورة في التاريخ العربي، وتمس أيضا في الوقت ذاته الجوانب الأدبية والفنية التي رسمها الخيال العربي، والذاكرة الجمعية الشعبية، فضلا عن تلك الصورة التي رسمها العربي للأعجمي، والمسلم للمشرك، لتظهر لنا جليا سمات العربية التاريخية.

حددنا في المبحث الأول ميزة البطولة في التغريبة الهلالية، وحصرناها على شخص أبي زيد . في المبحث الثاني أثبتنا أن نسب البطل أبو زيد أصيل، وشريف من الأشراف، و كيف عانى من الغربة في بدايات حياته. ثم أثبتنا أن هذا البطل الهمام يتمتع بألقاب وأسماء عديدة، كمسعود بن عمار، وبركات و سلامة، وكل لقب أو اسم يعكس صفة من صفات هذا البطل، وخاصية ملازمة لأفعاله أو أقواله. في المبحث الرابع تعرفنا على شخصية البطل أبو زيد، وميزناها على باقي الشخوص الأخرى، باستعمال طريقة علمية ممنهجة، وهي طريقة المقاييس الكمية والنوعية ، وأخيرا أمكننا الاقتناع والتيقن من بطولة أبو زيد، وهذا يتأتى من إثبات المقومات البطولية لشخصية أبي زيد.

أخيرا، إن هذه الورقات القليلة لا تكفي لأن تصف شخصية بطولية لفترة عربية إسلامية، ولقوم كان لهم الفضل في تكريس لغة الضاد في المغرب العربي الكبير، ولولاهم لكنا ننتمي إلى العروبة بالاسم فقط، لا بالقول والفعل، لذا يجب فتح المجال للباحثين والناقدين مثل طلبة الدكتوراه، لأن يخوضوا غمار هذه الأبحاث المتعلقة بشخصية مثل شخصية هذا البطل، وأنوه إلى أصحاب الإعلام المرئي و المسموع بنشر أشرطة وتمثيليات، ومسرحيات وأفلام،

تعرف بهذه الشخصية؛ لأن الفرد العربي أو المسلم بصفة عامة في أمسّ الحاجة لنفض الغبار عن مثل هذه البطولات العربية .

الهوامش: [30]

[1] ينظر: رولان بارت، طرائق تحليل السرد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، الطبعة1،1992،ص25.

[2] ينظر: وليدة بن طالب، سيرة بني هلال: دراسة سردية، 2010، ص 31-32.

[3] روزلين ليلى قريش، تغريبة بني هلال، دار موفم للنشر، ص37-38.

[4] ينظر: أمينة فزاري، سيميائية الشخصية في تغريبة بني هلال، دار الكتاب الحديث، 2012، ص134-135.

[5] نبيلة ابراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة مصر، ط3 مزيدة و منقحة، ص168.

[6] المرجع نفسه، ص157.

[7] ينظر: محمد بوعزة: تحليل النص السردي- تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى،2010م، ص49.

[8] ينظر: المرجع نفسه، ص50.

[9] ينظر: عبد الحميد بوسماحة، رحلة بني هلال إلى الغرب وخصائصها التاريخية، الاجتماعية والاقتصادية، دار السبيل،2008، ص167-168.

[10] ينظر: المرجع نفسه، ص170.

[11] ينظر: روزلين ليلى قريش، تغريبة بني هلال، ص67-76.

[12] ينظر: المرجع نفسه، ص91-98.

[13] ينظر: المرجع نفسه ،ص09-20.

[14] ينظر: المرجع نفسه، ص29-42.

[15] ينظر: محمد بوعزة: تحليل النص السردي- تقنيات ومفاهيم، ص55.

[16] ينظر: روزلين ليلى قريش، تغريبة بني هلال، ص01-08.

[17] ينظر: المرجع نفسه ، ص29-42.

[18] ينظر: روزلين ليلى قريش، تغريبة بني هلال ، ص21-28.

[19] Todorov, dictionnnaire en cyclopedique des sciences du language, p57- 60.

[20] ينظر: روزلين ليلى قريش، تغريبة بني هلال، ص43-54.

[21] ينظر: المرجع نفسه ، ص91-98.

[22] ينظر: المرجع نفسه، ص99-112.

[23] رانيلا، الماضي المشترك بين العرب والغرب، أصول الآداب الشعبية الغربية، ترجمة: نبيلة ابراهيم، مطابع الرسالة، سلسلة عالم المعرفة، عدد 241، 1419هـ، الكويت، ص235.

[24] ينظر: أمينة فزاري، سيميائية الشخصية في تغريبة بني هلال، ص130.

[25] ينظر: أمينة فزاري، سيميائية الشخصية في تغريبة بني هلال، ص130.
[26] ينظر: المرجع نفسه، ص131.
[27] ينظر: روزلين ليلى قريش، تغريبة بني هلال، ص 177-195.
[28] ينظر: المرجع نفسه.
[29] ينظر: أمينة فزاري، سيميائية الشخصية في تغريبة بني هلال، ص127.

المصادر و المراجع المستخدمة: .أمينة فزاري، سيميائية الشخصية في تغريبة بني هلال، دار الكتاب الحديث، 2012.

. رانيلا، الماضي المشترك بين العرب والغرب، أصول الآداب الشعبية الغربية، ترجمة: نبيلة ابراهيم، مطابع الرسالة،
. روزلين ليلى قريش، تغريبة بني هلال، دار موفم للنشر.
. رولان بارت، طرائق تحليل السرد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، الطبعة1، 1992.
. عبد الحميد بوسماحة، رحلة بني هلال إلى الغرب وخصائصها التاريخية، الاجتماعية والاقتصادية، دار السبيل،2008. سلسلة عالم المعرفة، عدد 241، 1419هـ، الكويت. .
. محمد بوعزة: تحليل النص السردي- تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى،2010م.
. نبيلة ابراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة مصر، ط3 مزيدة و منقحة.
وليدة بن طالب، سيرة بني هلال: دراسة سردية، 2010.
. Todorov, dictionnnaire en cyclopedique des sciences du language.